ايتيقا الوجه و الاخر عند ايمانويل ليفيناس

د. تيليوين مصطفى
جامعة وهران 2

-حياته وفلسفته

ايمانويل ليفيناس فيلسوف فرنسي معاصر و لد في (ليتوانيا) و بالضبط في مدينة (كوفنو) 1905 مْن عائلة يهودية متدينة و هي نفس السنة التي و لد فيها جون بول سارتر, ريمون أرون و جورج كونقلام و في سن مبكرة من عمره قرأ الكتاب المقدس و قرأ كذلك للكتاب الروسيين و بالتحديد دستويفسكي و اكثر من ذلك قرأ لشكسبير و الذي من خلال اعماله تغذى ونمى فكريا, معرفيا و ثقافيا.

اثناء الحرب العالمية الاولى من 1914 الى 1918 هاجرت عائلته الى روسيا و بالضبط الى مدينة (كاركوف) اذ عايش الثورة البلشفية في روسيا بمزيج من الخوف و القلق و في نفس الوقت بكثير من الفضول هاجر الى فرنسا لوحده عام 1923 اين بدء دراسته الفلسفية في جامعة (ستراسبورغ) على يد كل من (جورج غوريفيتش) و (موريس برادين) و كان (موريس بلاتشو) اعز و اخلص اصدقاءه في هذه المرحلة الجامعية في عام 1928 اتجه الى جامعة (فراييورغ) بالمانيا اذ كان تلميذا لادموند هوسرل و مارتن هيجر.

في نفس السنة ترجم من اللغة الالمانية الى الفرنسية كتاب التأملات الديكارتية لاستاذه هوسرل وفي نفس السنة ناقش اطروحته في الفلسفة لنيل درجة الدكتوراه بعنوان نظرية الحدس في الظواهرية ادموند هوسرل وبهذا اعتبر ليفنياس اول من ادخل الظواهرية الى فرنسا من خلال هذا الكتاب (الذي كان في الاصل اطروحة دكتوراه). دون ان ننسى انه الاول كذلك الذي ادخل الفلسفة الهيدجيرية الى فرنسا ليتبعه فيما بعد و في نفس المجال كل من سارتر و غابريال مارسال وعام 1930 تحصل على الجنسية الفرنسية.

من 1930 الى 1940 اعتبر المختص الاول في الظواهرية الالمانية . عام 1961 حضر دكتوراه دولة بعنوان الكليانية و اللانهاني .

دون ان ننسى ان سنة 1940 كانت تراجيدية و ماساوية في حياته حيث سجن لمدة خمس سنوات من طرف النازية و بسبب اصوله اليهودية اذ فقد عائلته بالكامل في هذه الفترة و السبب الذي انقده من القتل هو الزي الفرنسي اذ كان جنديا في الجيش الفرنسي.

و في عام 1947 الف كتابا مهما في تاريخ الفلسفة بعنوان من الوجود الى الموجود و الجزء الاكبر من هذا الكتاب كتبه اثناء فترة سجنه و في نفس السنة عين مديرا للمدرسة العليا الاسرائلية في مدينة اوتوي AUTEUIL بفرنسا و في عام 1961 عين استاذا بجامعة (بواتي) POITIERS بفرنسا و في عام 1967 عين كأستاذ بجامعة NANTERRE نونتار بفرنسا و انهى مساره التعليمي بجامعة السوربون بمساعدة فرديناند الكييه.

ان حياة ليفيناس تتجلى بوضوح من خلال اعماله و مؤلفاته فبعد الاعمال التي ذكرناها سابقا نجده قد الف اعمالا اخرى مهمة لا تقل وزنا و اهمية عن اعماله الاولى و من بينها (الحرية الصعبة - محاولات حول اليهودية-) عام 1936.

و في عام 1968 طبعت له أربع قراءات للتلمود (القراءات التأويلية للثوراة) .

و في عام 1972 صدر له عملا اخر بعنوان (انسانية الانسان الاخر).

لكن يبقى مؤلفه ما بعد الماهية من اهم الاعمال التي اعطته شهرة عالمية و نجاحا مستحقا في مجال الفلسفة.

و في عام 1976 اتبعه بكتاب اخر سماه (موريس بلانشو و الاسماء الصحيحة).

و في عام 1982 اضاف عملا اخر سماه (الله الذي ياتي الينا من خلال الفكرة) .

و كتاب اخر بعنوان (الايتيقا و اللانهاني).

و في نفس السنة و في عام 1984 صدر له اخر عمل بعنوان التعالي و الفكر.

توفي ليفيناس عام 1995 عن عمره ناهز 90 سنة .

-الموضوعات الاساسية و الجوهرية لفلسفته

تعتبر اشكالية الاخر و الوجه (l'autre et son visage) اهم اشكالية دارت حولها كل اعماله الفلسفية و بالتحديد في عملية الرئيسي (الكليانية و اللانهائي) و كان

ذلك عام 1961 اذ نجده في هذا المؤلف قد طرح اهم مبادئ الايتيقا في علاقتها بالاخر فمنذ بدايته الفلسفية نجده قد وقع تحت هيمنة مقولات الوجود و الكليانيه .

و لقد كان مهوسا بهذه المسالة ليجد لها اختزالا ضمن مفهوم "الغيرية " وفي هذا المجال نجده يقول : "ان الكليانية لا تترك اذنى حرية للغيرية "[01] ففي تصوره ان الكليانية حاجز عنيف امام مفهوم الاخر و في هذا المجال قد عبر قائلا :" ان الكليانية هي الاشياء نفسها او بصياغة اخرى هي المماثلة و المطابقة و الهوية انها باختصار قتل للانهائي"[02].

لقد حاول ليفيناس ان ينطلق من التجربة الفردية للانهائي التي تتجلى من خلال مواجهة الاخر و لقاءه و التواصل معه معتبرا اياها بقوله :" انها تجربة لا يمكن اختزالها, و لا يمكن ذوبانها في اية كليانية"[03] .

ان الاخر بالنسبة له هو اولا وجه و في هذا المجال كتب قائلا : " ان الاخر هو وجه و ليس مجرد قناع نراه كما نرى الاشياء انه انفتاح و دخول مباشر ليس كظاهرة خارجية و انما اكثر من ذلك كظاهرة باطنية عميقة و معقدة" [04].

و يضيف في نفس المجال قائلا : "عندما أرى شخصا ما, أتكلم معه فانني لا أرى عينيه و انما تنقلني نظرته من خلال وجهه الى عالم الهنالك أو عالم المابعد اين تتجلى فكرة اللانهائي التي لا اجدها انا في ذاتي"[05]

ان العلاقة مع الوجه حسب تصور ليفيناس :" ليست تعالي باتجاه الاخر فحسب, بل انها كذلك تجربة ايتيقية بامتياز. "[06]

ان الوجه بالنسبة للإنسان هو اكثر الاشياء تعرية له و في نفس الوقت هو الاكثر تعبيرا عن هشاشته, ان الوجه حسب ليفيناس عرضة لكل انواع العنف و هذا ما يمنع العنف و ان الاخر هو في نفس الوقت الذي استطيع ان اتواصل معه و بمساعدته املك القدرة على مواجهة كل شيء .

و لهذا فان مسؤوليتي باتجاهه تبدأ من وجه الذي هو ملك لي و في نفس الوقت هو اللانهائي بالنسبة لي.

الخاتمة:

في النهاية نستنتج ان ليفيناس يختلف عن البنياويين في تصوره للإنسان باقتراحه لنزعة انسانية ليس اساسها الطبيعة العقلانية للإنسان و انما اساسها الالزام الايتيقي اي ان كل انسان يجب ان يسهر على الاخر و ان يحميه و ان يكون مسؤولا عنه بشرط ان يكون الامر متبادل بينهما .

الهوامش

1-Lavinas, Totalité et infini,Kluwer.
Académic ,pulishers, 1988 p19
2-Ibid, p20.
3-Ibid ,p21
4-Levinas , humanisme de l'autre homme, fata moraganan, 1972 p31
5-Ibid ,p40
6-Ibid ,p50.